المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي ودورهم في حروبه الخارجية 1900/1830

أ.بلجة عبدالقادر

جامعة جيلالي اليابس

تعود فكرة استغلال الجزائريين من طرف الجيش الفرنسي للاعتماد عليهم في التوسعات الداخلية إلى الكونت **"دي برمون De Bourmont1"** حين تأكد من أن السيطرة على الجزائر ليست بالأمر السهل، فسعى إلى تدعيم جيش الاحتلال بالعناصر المحلية وبشكل مكثف حتى يتمكن من غزو مختلف المناطق التي بدت له من السهل احتلالها، غير أن رفض الجزائريين للمستعمر ومقاومته منذ البداية تطلب من الاستعمار الفرنسي عملا كبيرا وجهودا عسكرية متواصلة، ولهذا لم تتردد **الدولة الاستعمارية** في اعتماد سياسة تجنيد بعض القوات الأهلية قصد الاستفادة منها للقضاء على الثورات الشعبية من جهة، واستخدامها في العمليات التوسعية والحروب الخارجية من جهة أخرى وللإحاطة **بهذه السياسة التي تدخل ضمن اهتمامات إستراتيجية الاحتلال، سنكتفي بدراسة تشكيل الفرق العسكرية الأهلية ودورها في المواجهات الخارجية للجيش الفرنسي.**

أولا: تشكيل الفرق العسكرية الأهلية:

1.فرقة الزواف:ZOUAVES2

أدى الفراغ الذي أحدثه استدعاء مجموعات هامة من جيش إفريقيا الفرنسي إلى فرنسا إلى التفكير في تجنيد قوة أهلية لتعويض النقص فكانت فرقة الزواف بقرار صدرفي 10 أكتوبر1830 بعدما راسل المارشال **"دي برمون"** وزارة الحربية، قائلا:**"يوجد في الجبال الواقعة شرق الجزائر مجموعة سكانية معتبرة، قادرة على مدنا بقوة عسكرية هامة "3**، وهكذا تفطن الاحتلال الفرنسي إلى أهمية القوة المحلية الجزائرية خاصة قوة زواوة في التوسع العسكري داخليا.

بلغ عدد المجندين في هذه الفرقة في البداية خمسمائة جندي، فتشكل بذلك فيلقين الأول بقيادة **"موني Maunnet"** نقيب بالقيادة العليا، أما الثاني فكان بقيادة نقيب آخر يدعى **" دوفيفيي Duvivier"** ، كما كانت فرقة الزواف مشكلة من الفرنسيين والأهالي 4 وفي 02 نوفمبر1833 عين **"لاموريسيير 5 Lamoricière"** قائدا على **"** الزواف**"** وهو ولعل من أسباب تعيين هذا القائد على رأس هذه الفرقة هي معاناة الجيش الاستعماري أمام صمود المقاومات الشعبية في بداية الاحتلال.

كما صدرت أمرية ملكية في 20 مارس 1835 لتعيد تنظيم هذه الفرقة بعدما توفر عدد الراغبين في التجنيد حيث استحدث فيلق ثاني تحت قيادة عسكري برتبة عميد، وصار كل فيلق يضم ستة كتائب، اثنان منها من الفرنسيين والأربعة الباقية من الجزائريين وبذلك أصبح هؤلاء في كتائب خاصة بهم تضم المورسكيين و الكراغلة واليهود بالإضافة إلى بعض العناصر من قبيلة زواوة. يبدو من خلال هذا الفرز أن وجود الفرنسيين والجزائريين في نفس الفرقة بدأ يشكل قلقا كبيرا لدى السلطات العسكرية بسبب اختلاف العادات والتقاليد.

وصف المؤرخ الفرنسي **"شارل أندري جوليان Charles André Julien"** أوضاع هؤلاء المجندين حيث قال: **"أنّه في الكثير من الأحيان كان الجنود الأهالي يصابون بالطفيليات مثل القمل، ولم يكن لديهم**

ما يلبسون سوى معاطفهم، وهذه الوضعية ليست ناتجة عن عوامل اقتصادية، وإنما وليدة سلوك عكس مدى كراهية العرب، حيث نجد أن مقابل منح هؤلاء المجندون اللباس كان يتم تزويدهم بالقمح المصادر من القبائل الثائرة، مما أدى إلى فرار العديد من الأهالي خلال الأيام الأولى من تجنيدهم"2، يتضح من هذا الوصف أن العهود الإغرائية التي قدمتها السلطة الاستعمارية لم تلتزم بها، وإنما كانت بمثابة طعم لاستدراج المجندين.

لقد أدى إعلان المقاومة من طرف**"الأمير عبد القادر"** بالعديد من الأهالي المنضويين تحت لواء هذه الفرقة بالفرار والانضمام إلى صفوف جيشه حتى أصبح الفيلق الثاني منها غير مكتمل النصاب، مما تطلب دمج الفيلقين في فيلق واحد ابتداء من1832/12/16 مشكلا من عشرة كتائب كل كتيبة تضم مائة (100)رجل، الأولى والأخيرة من الفرنسيين أما الثمانية الباقية من الأهالي الذين حددت مدة عقودهم بثلاث سنوات قابلة للتجديد وكل كتيبة من الكتائب الأهلية تضم في صفوفها 12 جنديا فرنسيا6، ويدل هذا على أن هؤلاء لم يكونوا محل ثقة من طرف القيادة العامة لجيش الاحتلال، رغم ما قدموه من خدمات للسلطة الاستعمارية.

وصدرت أمرية ملكية أخرى في 20 مارس 1837 نصت على توسيع فرقة الزواف إلى ثلاث فيالق بدلا من فيلقين، وذلك قصد الهجوم على قسنطينة ومحو عار هزيمة 1836، كل فيلق يضم تسعة كتائب، والكتيبة التاسعة من كل فيلق فرنسية ، وباقتراح من الجنيرال " راندون **Randon"** صدر مرسوم رئاسي في فبراير 1852 قسم فرقة الزواف إلى ثلاثة ألوية، وبذلك أصبحت تشكيلتهم كالآتي:

الفيلقان الأول والثاني التابعان للجزائر يضمان (38)ضابطا و(1024)جندي منهم(758)جنديا فرنسيا، أما الفيلق الثالث المرابط بالقطاع الوهراني فقد كان يضم(20) ضابطا و(263)جنديا منهم (193) جنديا فرنسيا. يمكن القول أن فرقة الزواف كانت من أقوى و أهم الفرق العسكرية الأهلية التي شكلتها الإدارة الاستعمارية في الجزائر،حيث شاركت الجيش الفرنسي في توسعاته الداخلية، إذ استعملت هذه الفرقة عندما قرر الماريشال كلوزيل الزحف نحو معسكر كما هاجمت فرقة الزواف في 25 جوان 1831 منطقة المدية بقيادة الجنرال برتزانا Berthzene إلا أن نقص المؤونة و صلابة المقاومة جعلها تتراجع7.

2. فرقة القناصة الجزائريون les chasseurs Algériens:

أدى وجود الفرنسيين والجزائريين في نفس الفرقة العسكرية إلى إثارة النزاعات والصراعات، فاستدعى ذلك تجميع الأهالي في تنظيم عسكري جديد عرف بالقناصة الجزائريين الذين التحقوا بالسلك العسكري الفرنسي **قناصة إفريقيا** وتشكل لواءين جديدين للجيش الإفريقي، أحدهما في الجزائر والثاني في وهران في16نوفمبر1831، حيث ضما في بداية الأمرالسريتين اللتين عرفتا باسم القناصة الجزائريين. وأضافت السلطة العسكرية لواء للقناصة في جانفي1833 بعنابة وهكذا صار كل لواء من الألوية الثلاثة لقناصة إفريقيا يضم ستة سرايا في كل واحدة منها 130 جنديا خيالا، أضيف إليهم 59 جنديا من المشاة8، فإذا قمنا بعملية حسابية نجد أن اللواء الواحد يضم(130فارس+59 من المشاة)×6=1134 جندي في كل لواء، وهذا يعني أن مجموع الألوية الثلاث يضم 3402 جندي جزائري في كامل سلك قناصة إفريقيا، ظل هذا السلك معرضا للتعديلات والإلغاء لبعض فيالقه وتحويلها إلى مختلف الأسلاك العسكرية مثلما حدث في 5 أفريل 1856.

3.فرقةالمخزنMakhzen:

تشكلت هذه الفرقة منذ العهد العثماني من فرسان لبعض القبائل في الجزائر ووهران، وكان هؤلاء يحضون بامتيازات خاصة لدى البايات، إذ أوكلت لهم مهمة إقرار الأمن وجمع الضرائب من القبائل ومعاقبة الثائرين، مقابل الإعفاء من الضرائب المخزنية كالغرامة والمعونة واللزمة، باستثناء ضريبتي العشور والزكاة اللتين يتوجب دفعهما من طرف جميع المسلمين، غير أن سياسة **"الأمير عبد القادر"** الرامية إلى تجنيد كل القبائل ضد العدو الفرنسي لم تأخذ بعين الاعتبار هذه الوضعية الخاصة لهذه القبائل وهذا ما أثار حفيظة فرسان المخزن9.

عندما تزايد ضغط الأمير على عشائر المخزن المقيمة بالناحية الغربية، أرغمهم على الارتحال نحو الداخل، فسارع زعماء المخزن إلى طلب العون من الفرنسيين مقابل تجنيد أنفسهم لخدمة مخططات الجيش الفرنسي في المنطقة حيث تفاوضوا مع الجنرال **"تريزل Trezel"** لوضع فرسانهم تحت تصرف الضباط الفرنسيين، فتم إبرام اتفاقية تحالف وحماية بين الجنرال **تريزيل** وقبيلة الدوائر والزمالة في16 جوان 101835 وبموجب ذلك أصبحت قوة المخزن تقوم بمهمة التجسس لصالح الاستعمار، وفي هذا الشأن يذكر **محمد بن عبد القادر** صاحب كتاب تحفة الزائر في تاريخ الجزائر **"أن مصطفى بن إسماعيل11 كان قائد فتنة وموقد نارها وعين الفرنساوية ولسانهم ويدهم"12** ففي رسالة بعث بها هذا الأخير إلى ملك فرنسا ورد فيها**:" وأنت يا سلطان الله ينصرك وينصر عساكرك إلي بعثت لنا الجنرال بيجو و فعل معانا الخير وعمرنا وهدن البلاد..."13.**

يعد المخزن قوة إضافية مهيكلة عسكرية ومتحركة باستمرار، أي على أهبة الاستعداد للتدخل متى أعطيت لها إشارة لذلك. أما من حيث التنظيم، فإن هذه القوة تخضع للقرار الحكومي الصادر في تاريخ 16 سبتمبر 1843 المتعلق برفع عدد فرسان الأهالي في الجزائر14.

لقد كانت قبائل المخزن تحظى بامتيازات خاصة مقابل خدمتها للجيش الفرنسي فهي معفاة من الضرائب، ومتواجدة في المناطق الجنوبية حيث استعملت لإخماد انتفاضة بوعمامة في القطاع الوهراني، كما استخدمت هذه القوة الأهلية خارج الجزائر عندما فرضت فرنسا الحماية على تونس سنة 1881.

4. فرقة القوم Goumiers:

هي فرقة عسكرية مكونة من الفرسان الأهالي، عرّفها كل من **"سيمون Simon "** و**"بيكر Bequert "** في فهرس الحقوق الإدارية في الجزائر سنة 1883 بأنها **"مجموعة من الرجال يحملون السلاح وهم مسخرون للخدمة العسكرية تحت قيادة شيخ القبيلة الذي بدوره يخضع لسلطة الآغا أو الخليفة أو ضابط فرنسي، و"القوم" لا يتقاضون راتبا شهريا، وإنما يتلقون مساعدات غذائية وعسكرية مقابل خدمتهم"15**، و يتضح لنا من خلال هذا التعريف أن فرقة القوم تعد شكلا من أشكال الخدمة العسكرية الإجبارية رغم عدم وجود أي نص تشريعي يلزم بذلك.

وصدرت تعليمتان حكوميتان لتنظيم هذه الفرقة الأولى في تاريخ 28 أكتوبر1832 والثانية في 17 ديسمبر 1841 في إطار تنظيم الفرق الأهلية16، ساعدت هذه القوة الاستعمار لفرض هيمنته على البلاد، حيث كانت تقوم بعمليات التفتيش خاصة بالمناطق التي كانت تكثر فيها الثورات والانتفاضات كما أنها تعتبر عيون وآذان المؤسسة الاستعمارية فهي بذلك جهاز استخباراتي طالما زود الإدارة الاستعمارية بالمعلومات الضرورية عن الجزائريين.17

وإذا عدنا إلى مناطق تواجدهم، نجدهم ينتشرون في الهضاب العليا والصحراء، كما أن لهم بعض التحركات في المناطق الخاضعة للحكم المدني مثل تحرك "قوم" البلدية المختلطة **ندرومة** المكون من خمسة وعشرين فارسا لمراقبة المناطق الحدودية الغربية في نوفمبر 1907 18 .

5. فرقة الصبايحية Spahis :

تستمد هذه الفرقة جذورها من التنظيم العسكري العثماني بالجزائر، فأغلب عناصرها من البدو الرحل الذين التحقوا بالخدمة العسكرية ضمن القناصة الجزائريين منذ تشكيل فرقة الزواف، ابتدءا من سنة 1831، وتسميتهم بالصباحية مشتقة من الكلمة العربية **الصباح**، وقد ذكر**"ريمبول M. Rembault"** في كتيب أصدره بمناسبة مائوية هذه الفرقة **"أنها فعلا كانت تضم جنود الصباح الجزائري"19** ، غير أنهم كانوا ظلاما قاتما على بني جلدتهم بتعسفهم.

كما أن تأسيسها الفعلي يعود إلى **الجنرال "يوسف"20**، ثم صدر أمر بضم هذه الفرقة إلى السلك العسكري الفرنسي قناصة إفريقيا، وبمقتضى أمر ملكي في 07 ديسمبر1841 تم تحويل فرقة الصبايحية إلى فرقة نظامية21، وكانت المحاولات الأولى لتشكيلها في عنابة حيث كون**" مونك دوزير Monk d'uzer"** فرقة في 1 ديسمبر 1842 وبعد مرور خمسة أشهر شكل **"فوارول voirol"** فرقة صبايحية الفحص في الجزائر لمراقبة الضواحي22 وضم سلك الصبايحية 20 سرية وزعت على العمالات الثلاث وهي الجزائر، وهران وقسنطينة وفي 21 جويلية1845 تحولت هذه السرايا إلى ألوية وهي23 :

1. لواء صبايحية عمالة الجزائر و سمي فيما بعد اللواء الأول للصبايحية.
2. لواء صبايحية عمالة وهران و سمي فيما بعد اللواء الثاني للصبايحية.
3. لواء صبايحية عمالة قسنطينة و سمي فيما بعد اللواء الثالث للصبايحية.

كانت التطوع قليلا جدا، فكان نادرا ما يتم تجميع 50 فارسا في سرية يفترض أن تضم 140 فارسا ويعود ذلك حسب المؤرخ الفرنسي **"شارل اندري جوليان"** أن هؤلاء كان ينقصهم كل شيء و يعيشون على الصيد في غالب الأحيان، وفي بعض الحالات أكلوا القطط، بالإضافة إلى أن المجندين الجزائريين كانوا غير مقبولين من طرف ذويهم الذين يرون أنهم مرتدين.

ومن المهام التي كلفت بها فرقة الصبايحية حراسة المناطق التي تسكنها ومراقبة السكان من الناحية السياسية تحت إشراف الضباط الفرنسيين وتعرف الثكنات التي يتمركزون بها الزمالات، ولم يكن من العادة في البداية تجنيدهم خارج الجزائر، إلى أن قررت السلطات الاستعمارية أن تجند البعض منهم للحرب في فرنسا إبان الحرب الفرنسية البروسية، حيث أصدرت وزارة الحربية الفرنسية قرارا في 18جانفي 1871 يقضي بنقل البعض منهم إلى أوروبا، فتسبب ذلك في ثورتهم بشرق البلاد24، تتألف فرقة الصبايحية من المتطوعين الجزائريين الذين تتوفر فيهم الشروط التالية.25

1. ضرورة بلوغ سن السادسة عشر إلى الأربعين.
2. امتلاك الراغب في الانخراط لحصان يصلح للحرب.
3. على المرشح أن يجهز بانخراطه أمام الضابط المقتصد أو أحد نوابه من الجزائريين.
4. على المرشح أن يقسم على القرآن بولائه لفرنسا.

يتضح لنا من خلال هذه الشروط أن السلطات الاستعمارية تسعى إلى تخفيض تكاليف احتلال الجزائر ليس بتجنيد الجزائريين لمساعدتها على فرض سيطرتها على البلاد فقط، بل تشترط عليهم امتلاك وسائل الحرب، والقسم على القرآن الكريم بالولاء لفرنسا.

6.سلك الرماة الجزائريين Tirailleurs Algériens:

صدرت أمرية في 07 ديسمبر 1841 نصت على تأسيس فيلق للرماة الجزائريين في كل مقاطعة من المقاطعات الجزائرية الثلاث، وكل فيلق يحمل اسم المقاطعة التي ينتمي إليها.

تأسس أول فيلق لهذه الفرقة بمنطقة الجزائر ثم تشكل فيلقا آخر بقسنطينة وعنابة من العنصر التركي، وفيلق رابع بوهران في كل من مستغانم ومعسكر، كما أصدر المارشال **"سانت أرنو Saint Arnaud"** مرسوما تكونت بموجبه فعلا الفيالق الثلاث في 13 فبراير 1852، و يتشكل كل فيلق من ثمانية كتائب تحت قيادة فرنسية26.

انتهزت السلطة العسكرية الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة الناتجة عن السياسة الاستعمارية وما سببته من دمار وتخريب لتجنيد الجزائريين، وذلك باعتراف الضباط الفرنسيين حيث قال الرائد **"ليو"**:**"منذ انطلاق الحملة إلى يومنا هذا(20 مايو 1842) خربت كثيرا من القرى الآمنة، وكميات من المحاصيل الزراعية ..."27** ، ويتضح من خلال هذا الاعتراف أن سياسة الأرض المحروقة المتبعة من طرف الاحتلال أدت إلى إفقار الشعب، وأرغمت شبابه على الانضمام إلى الجيش الفرنسي الذي حوّله إلى أداة طيعة يستعملها في توسعاته بالجزائر، ويعتمد عليها في حروبه الخارجية.

كما صدر مرسوم إمبراطوري في 9 مارس 1854 لتنظيم لواء الرماة الجزائريين في فيلقين يضم كل واحد تسعة كتائب، يتشكل الأول من فيلق الجزائر بالإضافة إلى جزء من فيلق قسنطينة والثاني من فيلق وهران وجزء آخر من فيلق قسنطينة28.

ثانيا: **دورها في المواجهات العسكرية الخارجية للجيش الفرنسي.**

لقد عمل الفرنسيون منذ بداية الاحتلال على تدريب وتنظيم الفرق العسكرية الأهلية بما يخدم مصالحهم، مستغلين في ذلك الظروف الصعبة التي كان يمر بها الشباب الجزائريين الذين لم يجدوا الخلاص من الفقر إلا الالتحاق بصفوف الجيش الفرنسي الذي استعملهم كأداة للتوغل في أعماق البلاد أوفي الحروب الخارجية.

فكانت **حرب القرم29** 1854-1856 أول الحروب الخارجية التي شارك فيها المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي، حيث كان لها وقع خاص في نفوسهم، فالدولة العثمانية بالنسبة لهم هي رمز الخلافة الإسلامية، ولابد من نصرتها، لان في ذلك نصرة للدين الإسلامي، ولعل قصيدة الشاعر الجزائري **"محمد بن إسماعيل"** تدل على ذلك، حيث جاء فيها:

يا كامل العطا فرحنا ببشاير النصـر يا ربي

تبرا وتزول هذه المحنة على المومنين يا مرغوبي

أنصر جيش الإسـلام با لمصطفى حبيبـك

أمـة شفيع الأنـام عـزموا لنصرة دينك30

استغلت فرنسا هذه الحرب إلى أبعد حدود لصالح توطيد وجودها في الجزائر موهمة الجزائريين بأنها تقف إلى جانب الدولة العثمانية من أجل حماية الحق والدفاع عن الإسلام31، ولهذا الغرض سخر إدارة الاحتلال كل الوسائل المتاحة لذلك، من المكاتب العربية32 إلى القياد والبشاغوات إلى الصحافة ولا سيما جريدة المبشر33.

لقد تدخلت فرنسا في هذه الحرب بالجيش الإفريقي الذي كان يضم المجندين الجزائريين بالرغم من أن القناعة السائدة لدى العسكريين الفرنسيين، أن هؤلاء لا يصلحون لمثل هذه المهام بسبب نقص احتكاكهم بالجيوش الأوربية التي تتطلب مواجهتها الخبرة العسكرية، إلا أنهم أثبتوا عكس ذلك في هذه الحرب التي قادوها بشجاعة إيمانا منهم بأنهم يدافعون عن الدين الإسلامي، واعترافا بذلك قرر الإمبراطور نابليون الثالث منح أوسمة لبعض هؤلاء الجنود بطلب من وزير الحرب34.

لقد أدى حماس الجزائريين في هذه الحرب إلى اهتمام الفرنسيين باستغلال القوى البشرية الجزائرية ووضعها في خدمة السياسة الخارجية لفرنسا حيث كتب **"الاباسي lapasset"** إلى**"إسماعيل عربان"** أحد مستشاري الامبراطورفي29 أكتوبر 1852: **"العرب أكثر تحركا من الفرنسيين، إنهم يعشقون الحرب، ولا يخشون الموت وهم يرفضون دائما سيطرتنا عليهم"35** ويتضح من هذا أن هناك اعتقاد لدى السلطة العسكرية وهو فرض السيطرة على الجزائريين بواسطة تجنيد الأهالي وجعلهم أداة للمحافظة على الدم الفرنسي بالاعتماد على القوات الأهلية

وبعد مرور ثلاث سنوات على انتهاء حرب القوم انفجر الخلاف بين فرنسا والنمسا بسبب المعاهدة المبرمة بين فرنسا وسردينيا في جانفي 1859،حيث تعهد فيها الإمبراطور نابليون الثالث بالدفاع عن ملك ساردينيا ضد النمسا، فجهز جيشا تولى بنفسه مهمة قيادته و كعادتها لجأت فرنسا إلى استغلال المجندين الجزائريين في هذه الحرب فتشكل قوة من الفرق الأهلية بقيادة الجنرال **ماكماهون36**.

كما صدر مرسوم ملكي في 26 مارس1859 لتشكيل لواء مؤقت من الرماة الجزائريين من ثلاثة فيالق في كل واحد منها ستة كتائب، وقد تشكل هذا اللواء من الألوية الثلاثة للمقاطعات37**.**

وأثناء خوضها للمعارك تمكنت الفرق الثلاثة من الزواف من احتلال منطقة بوبيو Bobbio بإيطاليا معتمدة في ذلك على الخبرة العسكرية التي اكتسبتها في حرب القرم38.

وبعد الانهزام الذي لحق بالجيوش النمساوية في جوان 1859، أمر**"نابليون الثالث"** بوقف القتال وبدأ الرماة الجزائريون في الانسحاب حيث عسكروا في باريس من أجل المشاركة في احتفالات النصر.

أعجب الشعب الفرنسي بالمجندين الجزائريين من خلال ما راج من الأخبار عن بطولاتهم في المعارك، لكن ما فائدة هذا الإعجاب، بالنسبة للمجتمع الجزائري الذي كان يمد الجيش الفرنسي بتلك الطاقات البشرية؟، فالفرنسيون كانوا ينظرون إلى أولائك المحاربين كمجندين مكلفين بعمل عسكري مقابل أجر معين، أي مرتزقة، ولا وجود لأي قضية وطنية من وراء هذه المشاركة.

لقد تأكدت القيادة العامة للجيش الفرنسي من فعالية المجندين الجزائريين، في الحروب الخارجية التي خاضتها فرنسا من خلال مشاركتهم في حرب القرم 1854 وحرب إيطاليا 1859، لذلك طالبت في سنة1861 بتشكيل كتيبتين عن كل لواء من الألوية الثالثة (البليدة، وهران، الجزائر) للإنضمام إلى قناصة إفريقيا39، ووجهتهم هذه المرة الهند الصينية وبالضبط إلى **"كوشين شين** Cochinchine**"**، فضمت كتيبتي اللواء الأول(288) جنديا أضيف إليهم فيما بعد 30 جنديا، أما الكتائب الأربعة المتبقية أرسلت العدد

المطلوب ليصبح مجموعهم(288×3)+30=894 جنديا40، ووصل الرماة الجزائريون بعد ثلاثة أشهر على متن السفينة إلى مدينة سايغون Saigon في4 فبراير 1861 41.

ثم بدأ الهجوم في24 فبراير1861، حيث خرجت كتيبة الرماة الجزائريين لتتجه نحو قرية **دونغ-مون** شرق **سايغون**، لكن حلول موسم الأمطار حطم الطرق، وصعب من تحركات الجيش الفرنسي المحتل منتظرا تحسن الظروف المناخية لبدأ العمليات.

كانت الحملة العسكرية إلى **كوشين شين** صعبة بفعل الظروف المناخية والحواجز الطبيعية وانتشار الأوبئة، مما أدى إلى ارتفاع عدد الضحايا في صفوف الفرق الجزائرية فمثلا كتيبة الصبايحية التي شاركت ب (288) جنديا، عادت ب (62)جنديا من بينهم (13)جريحا42.

وفي حرب المكسيك أصدر الجيش الفرنسي أمرا بخصوص تكوين فيلق من فرقة الزواف يضم ستة كتائب، فانطلق الفيلق من المرسى الكبير بوهران يوم 17 نوفمبر 1861 ليصل إلى المكسيك في 7 جانفي 1862 بعد شهرين من الإبحار، وبقي هذا الفيلق هناك لمدة ثلاث سنوات يصارع فيها الظروف الطبيعية من جهة وأخطار الحرب من جهة أخرى حيث تكبد المجندون الجزائريون خسائر معتبرة43، ولهذا تلقى الرماة الأمر بالانسحاب من الأراضي المكسيكية التي شهدوا فيها أعنف المعارك.

و في17 جويلية 1870أعلنت فرنسا الحرب على بروسيا، ونظرا لأهمية هذه المواجهة تلقى اللواء الأول للرماة الجزائريين أمرا بتشكيل ثلاثة فيالق بالإضافة إلى فيلق آخر من الزواف، وصلت هذه القوة إلى مرسيليا يومي 22-27 جويلية 1870.

وفي 29 جويلية حلت ب**ستراسبورغ** أين خطب فيهم **"نابوليون الثالث"** قائلا:**"أيها الجند اعلموا أنكم تدافعون عن شرف الوطن، إنكم ستحاربون إحدىأعتا جيوش أوربا"44**

وجندت السلطات الاستعمارية الشبان الجزائريين قهرا لإبعاد شبح الهزيمة، وقد سجل ذلك الشاعر في قصيدة من الشعر الملحون جاء فيها

أثناء حرب السبعين تنافروا الخزية45 الألمان تقوى والرومي تنكد46

قالوا هاتوا عربان الجاه47 والحمية قامت الكفرة في شبابنا تجند.

غير أن تفوق المدفعية الألمانية أدى إلى إلحاق الهزيمة بالجيش الفرنسي، فاللواء الأول للرماة الجزائريين فقد ثمانية ضباط وأكثر من (700) جندي بين قتيل وجريح، وفي تقرير أعده الكولونيل**"موراندي Morandy"** إلى المارشال **ماكماهون** قال فيه:**"أكثر من نصف الرماة الجزائريين المشاركين في المعركة قتلوا أو جرحوا، يعني أكثر من 800 جندي من الرماة.48**

لقد شكل المجندون الجزائريين دعما قويا للجيش الفرنسي منذ بداية الغزو إن على المستوى الداخلي أو على المستوى الخارجي، وكان من وراء سياسة التجنيد عدة أهداف نذكر منها:

1. الحيلولة دون أن يكون أولائك الشباب دعما للمقاومات الشعبية التي رفضت الوجود الاستعماري في الجزائر.
2. إفراغ البلاد من الطاقات البشرية التي قد تنتهز فرصة انشغال فرنسا بحروبها الخارجية ليحرّروا البلاد من الاحتلال، ولهذا نجدها تجند لكل حرب تخوضها ما أمكن استغلاله من الشبان ليكونوا في الصفوف الأمامية لجبهات القتال، وكأن بهذه الخطة تريد التخلص منهم سواء في حالة الانتصار أو الانهزام.

3. كان المجند الجزائري لا يدرك ما يفعله في المناطق البعيدة فكل ما يعيه خارج محيطه الضيق أنه كان يعمل في إطار خدمة عسكرية يتقاضى عليها مقابل.
4. كانت الفرق العسكرية الأهلية وراء الانتصارات التي حققتها الجيوش الفرنسية باعتراف من الضباط الفرنسيين الذين أشادوا بالقدرات الحربية للمجندين الجزائريين خلال حملاتهم العسكرية، مما شجعهم على طرح فكرة التجنيد الإجباري لهم مع بداية القرن العشرين.

الهوامش:

1 دي برمون قائد الحملة العسكرية على الجزائر في جويلية 1830 شارك من قبل في حملات فرنسية في عهد نابليون الأول 1810 ضد إيطاليا و روسيا.
2نسبة إلى قبيلة زواوة بمنطقة القبائل
3Joseph spitz، Histoire du 2 éme régiment des zouaves, L'acheb imprimeurs-éditeurs 1898. P 05
4عميراوي، أحميدة، من تاريخ الجزائر الحديث، الطبعة الثانية دار الهدى، عين مليلة 2004،ص 84.
5ويس جوشول دي لاموريسيير، ولد في 05 فبراير 1806،بنانت الفرنسية،عين نقيبا لفرقة الزواف في 1830 ثم أصبح برتبة عقيد لهذه الفرقة في 1837،توفي في 11 سبتمبر 1865.
2Julien, Charles André, Histoire de l'Algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation (1827-1871), Presse Universitaire de France, Paris 1964, p 284.
6E .Perret, les français en Afrique, récits algériens 1830-1848, B. Bloud librairie Editeur, Paris, p. 104
7Joseph, spitz, op. cit, p 11.
8 بجاوي، محمد صالح، متعاونون ومجندون جزائريون في الجيش الفرنسي 1830-1918،دار القصبة للنشر، الجزائر 2009، ص 166.
9 سعيدوني، ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر والفترة الحديثة والمعاصرة، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988، ص. 238
10سعيدوني، ناصر الدين، المرجع السابق،ص239.
11 شغل منصب آغا الدواوير والزمالة عشية الاحتلال التحق بالجيش الفرنسي متطوعا لقيادة مخزن وهران، ونظرا لخدماته تحصل على رتبة جنرال
12محمد بن عبد القادر، الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، الجزء الأول، منشورات تالة، الجزائر 2007، ص. 506.
13قنان ،جمال ،نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر2007 ،ص99.
14C.A.O.M., Série H , Boite N°3h61, Recrutement par voix D'engagement et de Réengagement
15C.A.O.M, 3h61, recrutement…,op.cit.
16C.A.O.M, ibid.
17صالح، فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم للنشر والتوزيع ، ص 261.
18C.A.O.M, op, cit.
19Journal l'entente Franco musulmane, novembre - décembre 1941
20 اسمه الحقيقي جوزيف« فونتيني Joseph vontini » من مواليد 1809 بجزيرة ألب« Elbe »استقدم إلى تونس فأصبح مملوكا لدى الباي ومنها فر إلى الجزائر ع واسمه الحقيقي جوزيف فانتيني« Joseph vontini » من مواليد 1809 بجزيرة ألب « Elbe » استقدم إلى تونس فأصبح مملوكا لدى الباي، ومنها فر إلى الجزائر عشية سقوطها بيد الاحتلال الفرنسي وعمل كمترجم لدى جيش الاحتلال، شكل فرقة من المملوكين (الفرسان) ثم نقيب في فرقة الصيادين الجزائريين ثم شغل منصب آغا العرب في الفترة من أوت 1830 إلى جانفي 1831، ثم أصبح نقيبا في فرقة القناصة الجزائريين ثم شغل منصب آغا العرب في الفترة من 1830 إلى1831 ،ثم أصبح رئيس فرقة في 1845 توفي في كان canne .1866
21 فركوس، صالح، المرجع السابق، ص 261.
22Julien, Charles André, op, cit, p 274.
23Fanchet, d'esprey, l'armèe d'Afrique, la revue indigène ,N°258-259 juillet aout 1930,p134.
24بوعزيز، يحيى، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 ،ص283.
25الموقع الإلكتروني لوزارة المجاهدين.
26Azzan, Paul," les tirailleurs Algériens", **R.A.A,** N 43, mars 1928, pp 79-81.
27 الأشرف، مصطفى، المرجع السابق، ص 109.
28Azzan, Paul, op, cit. p 81.

29شبه جزيرة تقع شمال البحر الأسود، كانت سبب صراع بين الدولة العثمانية وروسيا التي كانت تتطلع إلى البحار الدافئة، مما أدى إلى نشوب الحرب بين الإمبراطوريتين، فهبت كل من فرنسا وبريطانيا من أجل الوقوف إلى جانب الدولة العثمانية، حتى يصدوا تهديدات روسيا لمصالح في المنطقة، انتهت هذه الحرب بهزيمة الجيوش الروسية.

30قنان،جمال،المرجع السابق،ص151.

31جلال، يحيى، المغرب الكبير (العصور الحديثة والهجوم الاستعمار)، الجزء الثالث، دار النهضة العربية بيروت، ص 187.

32 صدر قرار في 01فبراير 1844 بإنشائها لتكون واسطة بين الفرنسيين وزعماء الأهالي على أن يرأ سها الضباط الفرنسيون.

33 هي جريدة عربية-فرنسية أصدرتها الإدارة الفرنسية في الجزائر بقرار من الملك لويس فليب، صدر عددها الأول في 15 سبتمبر 1847.

34Joseph Pitz, op. cit, pp 258-261.

35Goldzeiguer, Annie Rey ,Le royaume arabe la politique Algérienne de Napoléon III 1861-1870,SNED, Alger 1977,p86.

36H. Farre De Navacelles, Précises Guerres de la France de 1848 à 1885,Librairie Plon , Paris 1890 pp 132-134.

37بجاوي، محمد صالح،المرجع السابق، ص 252.

38H. FARRE De Navacelles, op, cit, p 134.

39H. FARRE De Navacelles, op, cit, p 333.

40 Duruy Victor, le 1er Régiment de Tirailleurs Algériens (histoire et campagne), librairie Hachette, Paris 1899 p144

41 H. FARRE De Navacelles, op, cit, p 334.

42Duruy Victor, op, cit, p 150.

43Joseph Pitz, op, cit, p 155.

44Ibid, p 263.

45تنافروا الخزينة: المواجهة بين فرنسا وألمانيا.

46الرومي تنكد: انهزام فرنسا.

47عربان الجاه: الجزائريون الشجعان.

48Duruy Victor, op., cit., p 182.